مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ١٣:١١–١٤؛ ١٤:١–٤)

يا إخوةُ إنَّ خلاصَنا الآنَ أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا* قد تناهى الليلُ واقتربَ النهارُ فلندَعْ عنَّا أعمالَ الظُلمةِ ونلبسْ أسلِحَةَ النور* لنَسلُكَنَّ سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقُصوفِ والسُكرِ ولا بالمضاجعِ والعَهر ولا بالخِصامِ والحَسد* بل البسوا الربَّ يسوعَ المسيحِ ولا تهتمُّوا بأجسادِكم لقَضاءِ شَهواتِها* مَن كانَ ضعيفاً في الإيمانِ فاتَّخِذوهُ بغيرِ مباحثةٍ في الآراءِ* مِنَ الناسِ مَن يعتقِدُ أنَّ لهُ أن يأكُلَ كُلَّ شيءٍ. أمَّا الضَّعيفُ فيأكُلُ بُقولاً* فلا يَزدَرِ الذي يأكُلُ من لا يأكُلُ ولا يدِن الذي لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ قدِ اتَّخذهُ* مَن أنتَ يا مَن

الصوم الأربعيني المقدّس

يرمز الصوم الأربعيني المقدّس إلى الأربعين سنة التي قضاها شعب الله في القفر، زمن خروجهم من مصر بقيادة موسى النبي. وهو يذكّرنا بعبور البحر الأحمر، وبالمنّ السماوي الذي قدّمه السيد الإله لشعبه في البرية. أما صوم المسيح أربعين يوماً وتجاربه الثلاث، فما هي إلا افتتاح لمسيرة الجهاد الروحي وتهيّؤ الإنسان لإتمام مشيئة الله ومصالحته معه.

الصوم في الكنيسة الأرثوذكسية مجالٌ للفرح والانعتاق من أعباء الحياة التي تكبّل الإنسان في الخطايا وتبعده عن وجه خالقه. الصوم مناسبة لتلقف النور. هو موسم بهيج ودرب منير. «يا رب لقد بزغتْ نعمتُك، لقد أشرقت استنارة نفوسنا. ها وقتٌ حسَنٌ قبوله، ها أوان التوبة، فلنطرح أعمالَ الظلمة ونتدجَّج بأسلحة النور لكيما نجوز لجّة الصيام العظيمة ونبلغ إلى قيامة ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح ذات الثلاثة الأيام، مخلّص نفوسنا».

الصوم انتصار الإنسان على كل تجربة. هو غلبة التائب على الشر الذي يسبي الإنسان ويقيّده. صراعٌ إيجابي للتائب يفتح أمامه أفق القيامة وإمكانية تبديل حياته ومفاهيمه. الصوم شفاء روحي للإنسان، يعالج النفس ويداوي الجسد، فيهيء المسيحي لاستقبال المسيح الختن.

في الأحد الأول من الصوم، المعروف بأحد الأرثوذكسية، تقيم الكنيسة ذكرى انتصار عقيدة إكرام الأيقونات. قوام هذا الإكرام أن الله يسكب نعمته على واقعنا المادّي فيجعله، رغم هشاشة المادّة وخضوعها لناموس الفناء، يعكس صورة ملكوت الله في الكنيسة وفي حياة القديسين. المادّة تصير بتجسّد المسيح وسيلة لتمجيد الله، وبها يرتقي الإنسان إلى وجه السيّد الذي يعطي الحياة للعالم، والذي يتخطى كل مادّة أو شكل. «إن الكنيسة تفرح مسرورة بحصولها على صورة المسيح وترتكض طرباً مع أولادها كمقتبلة منه جوائز الغلبة وعلامات الرأي القويم».

في الأحد الثاني من الصوم يورد كتاب التريودي خدمة عيد القديس غريغوريوس بالاماس رئيس أساقفة

العدد ١٠/٢٠١١
الأحد ٦ آذار
أحد مرفع الجبن
(أحد الغفران)
تذكار القديسين الإثنين والأربعين شهيداً الذين في عمورية
اللحن الثامن
إنجيل السَحَر الثامن

تدينُ عبداً أجنبيًّا. إنَّهُ لِمولاهُ يثبُتُ أو يَسقُطُ. لكنَّهُ سيُثبَّتُ لأنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُثبِّتَهُ.

الإنجيل

(متى ٦:١٤–٢١)

قال الربُّ إن غفَرتُم للناس زلاَّتِهم يغفِرْ لكم أبوكم السماوي أيضاً* وإن لم تغفِروا للناسِ زلاَّتِهم فأبوكم أيضاً لا يغفِرُ لكم زلاَّتِكم* ومتى صُمتم فلا تكونوا مُعبّسين كالمرائين. فإنَّهم يُنكّرون وجوهَهم ليظهروا للناس صائمين. الحقَّ أقولُ لكم إنَّهم قد أخذوا أجْرَهم* أمَّا أنتَ فإذا صُمتَ فادهَنْ رأسَكَ واغسِلْ وجْهَك لئلاَّ تظهرَ للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخِفْية. وأبوك الذي يرى في الخِفْيةِ يُجازيكَ علانيةً* لا تكْنِزوا لكم كُنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السوسُ والآكِلَةُ ويَنْقُبُ السارقون ويسرِقون* لكن اكنِزوا لكم كنوزاً في السماءِ حيث لا يُفسِدُ سوسٌ ولا آكِلةٌ ولا يَنْقُبُ

تسالونيكي (+١٣٦٢)، الناسك الهدوئي، المحامي عن الإيمان والراعي العجائبي لكنيسة المسيح. دافع القديس غريغوريوس عن خبرة صلاة يسوع من حيث هي وسيلة لتنقية الإنسان وارتقائه روحياً إلى معاينة مجد الله، وتكلّم على النور الإلهي غير المخلوق وظهوره في واقع حياتنا، ما يؤدّي إلى تجلّي كيان الإنسان بجملته وسكنى محبّة الله في قلبه. «لقد أظهرتكَ نعمةُ الله أيها المغبوط فخراً وثباتاً عظيماً للمستقيمي الرأي، وراعياً صالحاً، ومتكلِّماً في اللاهوت ثانياً، وحافظاً وساهراً على الرعية».

في الأحد الثالث، الذي هو انتصاف الصوم الكبير، نعيّد للسجود للصليب الكريم عود الحياة وينبوع كل فرح. خدمة هذا النهار بطابعها احتفالية، تنبئ بدنو الفصح. نقيم خلالها تزييحاً للصليب محفوفاً بالأزهار كعلامة للحبور الذي يجلبه إلى العالم. «إننا نصافحُ الصليبَ المقدس الذي ارتضيتَ أن تحمله على عاتقك أيها المسيح، وتُرفع عليه وتُصلب بالجسد، متخذين قوّة على الأعداء غير المنظورين».

الأحد الرابع من الصوم يخصّه كتاب التريودي بتذكار ناسك لمع في القرن الثامن في برّية سيناء هو القديس يوحنا الملّقب بالسّلّمي، نسبة إلى كتابه النفيس «السلّم إلى الله». والقديس معلّم كبير لسيرة الفضيلة الشريفة، سيرة النسك والتعلّق بالله دون سواه. كتابه مدرسة غذّت أجيالاً متعاقبةً من الرهبان والمؤمنين. هو منهاجٌ متكاملٌ لشفاء الإنسان المجروح من الخطيئة واستعادته لدعوته الأصلية، ونموّه في محبّة الله والقريب. «لقد اقتبلت في نفسك غنى الروح الإلهي، أعني الصلاة التي لا يشوبها عيب، والطهارة، والوقار، والأسهار المتّصلة، والإمساك والرياضات التي بها عُرفتَ مسكناً لله».

أما في الأحد الخامس من الصوم، وبعد أن نكون قد قرأنا يوم الخميس قانون التوبة الكبير الذي ألّفه القديس أندراوس الكريتي، نتذكّر القديسة مريم المصرية. وكأن الكنيسة توجّه إلينا نداء التوبة الأخير قبل انتهاء الصوم. تضعنا الكنيسة أمام نموذج لِمَا تقتدر نعمة الله أن تصنعه في حياة الإنسان إن تاب والتجأ بإيمان إلى المعونة الإلهية. «أيتها الكلية النقاوة، بما أنكِ امتلكتِ عند ابنكِ الدالَّة الوالدية، فنتوسل إليكِ ألاَّ تغفلي عن العناية بمجانسيك لأننا نقدمك نحن المسيحيين بأسرنا عند السيد شفيعةً عطوفة وحدكِ».

في السبت التالي يرشدنا كتاب التريودي إلى بيت عنيا حيث نلاقي المخلّص الذي يقيم لعازر من الموت ويعدنا جميعاً بالقيامة العامة، قبل أن ندخل معه في أحد الشعانين إلى أورشليم، حيث يُسلم إلى أيدي الخطأة، ويتألم ويموت عنّا، ويقوم في اليوم الثالث واهباً لنا الحياة والرحمة العظمى.

ممارسات صياميّة

ندخل ابتداءً من الغد في رحلة الصوم الكبير المقدّس، التي توصلنا إلى ميناء القيامة المجيدة. ليست رحلتنا هذه كغيرها، ليست للإستجمام ولا للراحة، بل هي رحلة عمل جهادي مكافأته عظيمة وإلهيّة. كلٌّ منّا لديه طريقته الخاصة في العمل للوصول إلى مبتغاه، بعضنا عنده مَن يستشيره في سبيل الوصول

السارقون ويسرقون* لأنَّهُ حيث تكون كُنوزُكم هناك تكونُ قلوبُكم.

تأمل

الرسول بطرس هامة الرسل أعطى المسيح سبباً ليتكلّم على التسامح وعلى حسن النيّة الأكثر وضوحاً. سأله: «يا رب كم مرّة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرّات؟» (متى ١٨: ٢١). قبل أن يأخذ بطرس جواباً، أراد أن يظهر كريماً: كان تقليد اليهود يحدّد التسامح في مرّات ثلاث وهو زادها إلى سبع. كما ترى، كان يعرف جيداً مَيْلَ معلّمه المحبّ البشر، وأراد أن يُفرحه بتسامحه الفائق كما كان يعتقد، لكنّ الجواب الذي حصل عليه أبكمه. قال يسوع: «لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرّة سبع مرّات» (متى ١٨: ٢٢). بعبارته الرمزية هذه، لا يحدّد الرب التسامح والغفران حتى بأربعمئة وتسعين مرّة، إنّما يعني بذلك أنه يجب علينا أن نسامح بلا حدود دائماً.

المضمون إلى برّ الأمان (أي الآباء الروحيون)، وبعضنا يقوم بممارساته التي يعتقدها صحيحة إن قام بها بقلب نقي وستوصله إلى النهاية السعيدة.

يبدأ الصوم وتبدأ السيدات بالبحث عن أنواع الأطعمة الصيامية التي يمكنهنّ تحضيرها لعائلتهنّ، فيجهّزنَ لائحة تحتوي على الكثير من المواد التي غالباً ما تكون باهظة الثمن على مثال ثمار البحر التي تدخل ضمن قائمة المأكولات الصياميّة. مع بدء الصوم أيضاً تنهمر العروض الخاصة في المطاعم التي تهتمّ بالزبائن الصائمين، إذ قد أصبح موسم الصوم موسماً تجاريًّا يحب فيه الناس تجربة بعض أنواع الطعام التي لا يجرّبونها خارج الصوم، والتي ربما يتخطى ثمنها ثمن الأطعمة غير الصيامية بأضعاف.

إن تأمّلنا في ما نفعله خلال الصوم، نجد أنّنا نصرف مالاً على المأكولات أكثر بكثير من الفترات الأخرى من السنة. أحياناً نصبح عبيداً لبطوننا، مع أنّ المسيح تجسّد وصُلب وقام ليحرّرنا من نير العبودية. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: «كنت أفضّل أن آكل خبزاً يابساً وأكون حرًّا على أن أحصل على مآكل كثيرة وأكون عبداً».

الصوم هو تدريبٌ لنا على إخضاع أهوائنا ولَجمِها وليس لتغذيتها وجعلها مسيطرةً علينا. أكثر ما يجرّبنا في الصوم شهوةُ البطن. إذا استطاع أحدٌ منّا أن يكبح جماح معدته متحكّماً بما يعطيها ومتى يعطيها، عندئذٍ يمكنه الإنصراف إلى القيام بما فيه خيره من الأعمال الحسنة، لأنّنا نُجرَّب في بعض الأحيان بجلوسنا إلى المائدة لوقتٍ طويل متنعّمين بأنواع الأطعمة والأشربة حتى في أيام الصوم. إذا لم نجُع ونعطش ونتعب كيف يمكننا أن نشعر مع الآخر الذي ليس لديه ما يأكله أو يشربه والذي يعمل ما طال النهار ليؤمّن لقمة العيش؟ إذا بذّرنا أموالنا على أنواع الأطعمة كيف يمكننا أن نشعر بفقر الآخرين؟

إنّ الجوع يوقظ الروح الذي في داخلنا، في حين أنّ الشّبع يوقظ الشهوات والأهواء. الجوع هو لجام للأهواء المعشّشة في داخلنا، لكنّ الجوع لا يكفي في بعض الأحيان إذ يقول الذهبي الفم: «عندما نصوم لا يكفي الامتناع عن مآكل محدّدة لكي نستفيد روحيًّا، لأن هناك خطراً ألاّ نكسب شيئاً في محافظتنا على الصوم. كيف؟ عندما نبقى بعيدين عن الطعام ولكنّنا لا نبقى بعيدين عن الخطيئة، عندما لا نأكل لحوماً ولكنّنا نأكل حياة الفقراء، عندما لا نسكر بالخمر ولكنّنا نسكر بالرغبة الشريرة، عندما نقضي اليوم صائمين لكنّنا نرى مشاهد غير أخلاقية، هكذا يكون صومنا باطلاً. لذلك يجب أن نجعله مقترناً بالحرب على الأهواء، بضبط النفس عن كل خطيئة، بالصلاة والجهاد الروحي، هكذا فقط ستكون لديه ثمار وسيكون ذبيحة مقبولة مميّزة لدى الله».

في النهاية، الصوم لا يعني أن نقهر أنفسنا كما يفعل بعض المسيحيين. الصوم وسيلة للوصول إلى الملكوت من خلال الشعور مع ألم الآخرين ومساعدتهم ومعاينة المسيح المتجلّي فيهم. الصوم هو دربٌ نحو القيامة من خلال إماتة الأهواء والشهوات وإظهار المسيح الذي لبسناه في المعمودية للآخرين. هذا كلّه يحصل من دون

هل ترى كيف يفكّر الإنسان وكيف يفكّر الله؟ هل ترى كيف أنّ عَفْوَ الإنسان، مهما كان كبيراً، يظهر كلا شيء إذا قورن مع عفو الله؟ لا تعتقد أنّ تحقيق هذه الوصية صعب، إن قررت طبعاً أن تحتمل كل ظلم بطول أناة. صحيح أنّ المرات الأولى ستجد صعوبة في التّغلّب على الحقد الذي يتولّد تلقائياً في كل نفس تجاه مَن يظلمها، لكن بعد ذلك ستعتاد على مسامحة إخوتك في الإنسانية. هكذا عندما تُظلم لن تحزن كثيراً ولن تسعى إلى مبادلة الشر بالشر، بل على العكس ستفرح محتملاً بصبر كلّ ألم مثل المسيح والقديسين، وستصلّي لأجل أعدائك وستشكر الله على عذاباتك. بغفرانك هذا، ستجني إعجاب الناس وإكرامهم ومحبّتهم واحترامهم، والأهمّ أنّك سترث الخيرات السماوية التي أعدّها الرب لكلّ مَن يقتدي به.

القديس يوحنا الذهبي الفم

مراءاة (متى ٦: ١٦–١٨)، إنّه يتمّ بتقديم كأس ماء بارد لأحد إخوة المسيح الصغار (متى ١٠: ٤٢).

السلوك في ناموس الرب

في إطلالتنا على الصوم الكبير تطالعنا كنيستنا المقدّسة بفصل من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية (١٣:١١–١٤، ١٤: ١–٤)، تدعونا فيه إلى السلوك سلوكاً لائقاً، تاركين وراءنا كلّ ما يبعدنا عن الرب يسوع. وفي هذا الإطار يأتي على ذهننا المزمور ١١٨ الذي نقرأه كلّ يوم خلال الأسبوع (ما عدا السبت والأحد) في صلاة نصف الليل والذي يبدأ بالطوبى للذين يسلكون في ناموس الرب.

في زمن الصوم الكبير المبارك هذا يصبّ اهتمام المؤمن على الجهاد الموضوع أمامه وهو التقرّب من الرب، لا بل الإلتصاق به: «بل البسوا الربّ يسوع المسيح» (رو ١٣:١٤). وأساس هذا الجهاد هو حفظ وصايا الرب: «إن كنتم تحبونَني فاحفظوا وصايايَ» (يو ١٤: ١٥)، «الذي عنده وصاياي ويحفظُها فهو الذي يُحبّني، والذي يحبّني يحبّه أبي وأنا أحبّه وأُظهِر له ذاتي» (يو ١٤: ٢١)، «أجاب يسوعُ وقال له (ليهوذا الإسخريوطي) إن أحبَّني أحدٌ يحفظ كلامي ويحبُّه أبي وإليه نأتي وعنده نصنعُ منزِلاً» (يو ١٤: ٢٣). ولكن ما هي وصايا الربّ؟ وبماذا يمكن اختصارها؟ إن الربّ نفسه أعلن لنا وصيّته وهي أن نحبّ بعضنا بعضاً: «هذه هي وصيَّتي أن تُحبُّوا بعضُكم بعضاً كما أحببتكم. ليس لأحدٍ حبٌّ أعظمُ من هذا أن يضعَ أحدٌ نفسه لأجل أحبَّائه. أنتم أحبَّائي إن فعلتم ما أُوصِيكم به» (يو ١٥: ١٢–١٤). وفي مكان آخر أجاب الرب يسوع الناموسيّ الذي حاول أن يجرّبه بأن أعظم الوصايا هي أن «تحبُّ الربَّ إلهكَ من كلّ قلبك ومن كل نفسِك ومن كلّ فكرك، هذه هي الوصيّة الأولى والعظمى، والثانية مِثلها تحبُّ قريبك كنفسِك. بهاتينِ الوصيَّتينِ يتعلَّقُ الناموسُ كلّه والأنبياء» (متى ٢٢: ٣٧–٤٠).

هذا هو المعيار الذي على المؤمن أن يسلك وفقه في حياته، وخاصة في هذا الزمن المبارك. لذلك على المؤمن الذي يصوم أن يشيح نظره عن نفسه لينظر وجه الرب يسوع من خلال تطلّعه للآخر ومحبّته بناءً على وصيّة الربّ نفسه.

ومن الجميل، في هذه الفترة، أن نذكّر أنفسنا بهذا من خلال تلاوتنا للمزمور ١١٨ الذي لا تخلو آية واحدة منه من ذكر وصايا الرب وأحكامه وضرورة حفظها والسلوك وفقها: «طوباهم الذين بلا عيب في الطريق، السالكون في ناموس الرب. طوباهم الذين يفحصون شهاداته، وبكلّ قلوبهم يلتمسونه. لأنّ العاملين الإثم لم يسلكوا في طرقه. وأنت أوصيتَ أن تُحفظ وصاياك جداً. فيا ليت طرقي تستقيم لحفظ حقوقك...» (مزمور ١١٨: ١–٥).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb